32-سورة السجدة بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾
يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾
ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ
﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾
۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

(الٓمٓ)هذا الكتاب الكريم 1(لَا رَيْبَ) لا شك (فِيهِ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)
الذي رباهم بنعمته—و من أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم،و يتمم أخلاقهم 2
(أَمْ يَقُولُونَ)و مع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك:—(ٱفْتَرَىٰهُ ۚ)اختلقه من عند نفسه،
و هذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام اللّه،و رُمِي محمد ﷺ بأعظم الكذب و قدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق. و كل واحد من هذه من الأمور العظائم قال اللّه – رادًا على من قال: افتراه:—

(بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

(مِن رَّبِّكَ)أنزله رحمة للعباد (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ)في حالة ضرورة و فاقة لإرسال الرسول، و إنزال الكتاب، لعدم النذير،بل هم في جهلهم يعمهون، و في ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك

(لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه 3

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ)يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق (ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ)
أولها، يوم الأحد، و آخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، و لكنه تعالى رفيق حكيم.

(ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) الذي هو سقف المخلوقات، استواء يليق بجلاله

(مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ) يتولاكم، في أموركم، فينفعكم

(وَلَا شَفِيعٍۚ) يشفع لكم، إن توجه عليكم العقاب.

(أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)فتعلمون أن خالق الأرض و السماوات، المستوي على العرش العظيم،الذي انفرد بتدبيركم،

و توليكم، و له الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة 4

(يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ) القدري و الأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير

(مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) فَيُسْعِدُ بها و يُشْقِي، و يُغْنِي و يُفْقِرُ، و يُعِزُّ، و يُذِلُّ، و يُكرِمُ، و يُهِينُ،

و يرفع أقوامًا، و يضع آخرين، و يُنزل الأرزاق.

(ثُمَّ يَعۡرُجُ) يصعد الأمر ينزل من عنده (إِلَيۡهِ)

(فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ)و هو يعرج إليه،و يصله في لحظة 5

(ذَٰلِكَ)الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوى على العرش العظيم،و انفرد بالتدابير في المملكة

(عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ)الَّذِي قَدْ عَزَّ كلَّ شَيْءٍ فَقَهَرَهُ و غَلَبَهُ، وَ دَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ وَ الرِّقَابُ

(ٱلرَّحِيمُ) بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.فَهُوَ عَزِيزٌ فِي رَحْمَتِهِ، رَحِيمٌ فِي عِزَّتِهِ وَ هَذَا هُوَ الْكَمَالُ: -

الْعِزَّةُ مَعَ الرَّحْمَةِ، وَ الرَّحْمَةُ مَعَ الْعِزَّةِ، فَهُوَ رَحِيمٌ بِلَا ذُلٍّ 6

(ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ)

كل مخلوق خلقه اللّه، فإن اللّه أحسن خلقه، و خلقه خلقًا يليق به، و يوافقه، فهذا عام.

ثم خص الآدمي لشرفه و فضله فقال:-(وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ)و ذلك بخلق آدم عليه السلام 7

(ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ)ذرية آدم ناشئة(مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ)

و هو النطفة المستقذرة الضعيفة–يَتَنَاسَلُونَ كَذَلِكَ مِنْ نُطْفَةٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَ تَرَائِبِ الْمَرْأَةِ 8

(ثُمَّ سَوَّىٰهُ)

بلحمه، و أعضائه، و أعصابه، و عروقه، و أحسن خلقته و وضع كل عضو منه،بالمحل الذي لا يليق به غيره

(وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ) بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن اللّه، حيوانا، بعد أن كان جمادًا.

(وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ)ما زال يعطيكم من المنافع شيئًا فشيئا، حتى أعطاكم السمع و الأبصار

(وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ) العقول(قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ)الذي خلقكم و صوركم 9

(﴿وَقَالُوٓاْ﴾) قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد:–

(﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾)بَلِينَا و تمزقنا، و تفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ

(﴿أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدِۭۚ﴾)لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء،

و ذلك لقياسهم قدرة الخالق، بقدرهم. و كلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة،و إنما هو ظلم، و عناد،و كفر بلقاء ربهم وجحد،

و لهذا قال:–(﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾)فكلامهم علم مصدره و غايته،و إلا فلو كان قصدهم بيان الحق، لَبَيَّنَ لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة،بمنزلة الشمس للبصر.

❍و يكفيهم، أنهم معهم علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء،

و كذلك الأرض الميتة، ينزل اللّه عليها المطر، فتحيا بعد موتها،و ينبت به متفرق بذورها 10

(﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ﴾)جعله اللّه وكيلا على قبض الأرواح، و له أعوان

(﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾)فيجازيكم بأعمالكم،و قد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل اللّه بكم 11

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا
إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ
وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا
وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾
أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ
كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم بين يديه فقال:–(وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ) الذين أصروا على الذنوب العظيمة(نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ)خاشعين خاضعين أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: –(رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا) قبائحنا(وَسَمِعۡنَا)منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا أي: بان لنا الأمر، و رأيناه عيانًا، فصار عين يقين.

(فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا)فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك،

(إِنَّا مُوقِنُونَ)إنا قد أيقنَّا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، و أنك تبعث من في القبور.

و لو رأيت -أيها الخاطب- ذلك كله، لرأيت أمرًا عظيمًا، و خطبًا جسيمًا12

(وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا)لهدينا الناس كلهم، و جمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، و لكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى

و لهذا قال: (وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي)وجب و ثبت ثبوتًا لا تغير فيه.

(لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ)

فهذا الوعد، لا بد منه، و لا محيد عنه،فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر و المعاصي 13

(فَذُوقُواْ)يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، و سألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع و لم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم،

(بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ)و هذا النسيان نسيان ترك، أي:–بما أعرضتم عنه، و تركتم العمل له،
و كأنكم غير قادمين عليه، و لا ملاقيه– يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ:-
ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَ اسْتِبْعَادِكُمْ وُقُوعَهُ،وَ تَنَاسِيكُمْ لَهُ؛ إِذْ عَامَلْتُمُوهُ مُعَامَلَةَ مَنْ هُوَ نَاسٍ لَهُ

(إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ)تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ
-إِنَّا سَنُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ النَّاسِي؛لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْسَى شَيْئًا وَ لَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ، بَلْ مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ

(وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ)العذاب غير المنقطع

(بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)بسبب كفركم و تكذيبكم–من الكفر و الفسوق و المعاصي. 14

لما ذكر تعالى الكافرين بآياته، و ما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، و وصفهم، و ما أعد لهم من الثواب،فقال:–(إِنَّمَا يُؤۡمِنُ)يصدق (بِـَٔايَٰتِنَا)أي إيمانًا حقيقيًا، من يوجد منه شواهد الإيمان،

و هم: (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ) بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، و أتتهم النصائح على أيدي رسل اللّه، و دُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، و انقادوا

و (خَرُّواْۤ سُجَّدٗا)خاضعين لها، خضوع ذكر للّه، و فرح بمعرفته.

(وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩)
لا بقلوبهم، و لا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، و التسليم، و قابلوها بالانشراح و التسليم، و توصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم و اهتدوا بها إلى الصراط المستقيم. 15

(تَتَجَافَىٰ)ترتفع و تنزعج(جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ)
عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه و أحب إليهم، و هو[الصلاة في الليل، و مناجاة اللّه تعالى]

و لهذا قال: (يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ)في جلب مصالحهم الدينية و الدنيوية، و دفع مضارهما.

(خَوۡفٗا وَطَمَعٗا)جامعين بين الوصفين، (خَوۡفٗا)أن ترد أعمالهم، خوفًا من عذاب اللّه

(وَطَمَعٗا)في قبول الاعمال و طمعًا في ثوابه.

(وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ)من الرزق، قليلا كان أو كثيرًا (يُنفِقُونَ)

و لم يذكر قيد النفقة، و لا المنفق عليه، ليدل على العموم،

فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة:–كالزكوات، و الكفارات، و نفقة الزوجات و الأقارب،

و النفقة المستحبة في وجوه الخير، و النفقة و الإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا،

قريبًا أو بعيدًا، و لكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم. 16

و أما جزاؤهم فقال:(فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ)يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي.

أي: فلا يعلم أحد (مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم)من الخير الكثير، و النعيم الغزير، و الفرح و السرور، و اللذة و الحبور،

(مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ)مما تَقَرُّ به العين، و ينشرح له الصدر–فكما صلوا في الليل، و دعوا، و أخفوا العمل:–

جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم،

و لهذا قال:(جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

ينبه تعالى العقول على ما تقرر فيها،من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين،و أن حكمته تقتضي عدم تساويهما 17

(أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا)قد عمر قلبه بالإيمان، و انقادت جوارحه لشرائعه، و اقتضى إيمانه آثاره و موجباته، من ترك

مساخط اللّه، التي يضر وجودها بالإيمان.

(كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ)

قد خرب قلبه، و تعطل من الإيمان،فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل و الظلم،

من كل إثم و معصية، و خرج بفسقه عن طاعة الله. أفيستوي هذان الشخصان؟

(لَّا يَسۡتَوُۥنَ)

عقلا و شرعًا،كما لا يستوي الليل و النهار و الضياء و الظلمة و كذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة 18

(أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)صَدَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) بِمُقْتَضَاهَا وَ هِيَ الصَّالِحَاتُمن فروض و نوافل

(فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ)الجنات التي هي مأوى اللذات، و معدن الخيرات، و محل الأفراح،

و نعيم القلوب، و النفوس، و الأرواح، و محل الخلود،و جوار الملك المعبود،

و التمتع بقربه، و النظر إلى وجهه، و سماع خطابه.

(نُزُلًا)لهم أي: ضيافة و قِرًى(بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)فأعمالهم التي تفضل اللّه بها عليهم هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية،التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، و لا بالجنود و الخدم، و لا بالأولاد، بل و لا بالنفوس و الأرواح، و لا يتقرب إليها بشيء أصلا سوى الإيمان و العمل الصالح 19

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟) خرجوا عن الطاعة(فَمَأْوَىٰهُمُ)مقرهم و محل خلودهم(ٱلنَّارُ ۖ)
التي جمعت كل عذاب و شقاء، و لا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة.

(كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ) فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ،

(أُعِيدُوا۟ فِيهَا)
ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، و اشتد عليهم الكرب—يقال على وجه التقريع و التوبيخ:-

(وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ) فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم و مأواهم

(ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ)في الدنيا20

و أما العذاب الذي قبل ذلك، و مقدمة له و هو عذاب البرزخ،فقد ذكر بقوله:—

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾
أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ
فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ
إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

(وَلَنُذِيقَنَّهُم)لنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا (مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ)

و هو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا:–

1–إما بعذاب بالقتـــــل و نحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين،

2–و إما عند المــــــوت و هذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر،

(دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ)النار(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)إليه و يتوبون من ذنوبهم21

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ)لا أحد أظلم، و أزيد تعديًا، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه،

(ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ)فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، و لا اتبعها، بل أعرض عنها و تركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة،

و لهذا قال:(إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)سَأَنْتَقِمُ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَشَدَّ الِانْتِقَامِ22

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى) لما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده،و هو: القرآن، الذي أنزله على محمد ﷺ:- ذكر أنه ليس ببدع من الكتب،و لا من جاء به، بغريب من الرسل فقد آتى الله موسى

(ٱلْكِتَـٰبَ)الذي هو التوراة المصدقة للقرآن،التي قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، و ثبت برهانهما،

(فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ) مِنْ لِقَاءِ مُوسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(وَجَعَلۡنَٰهُ)الكتاب الذي آتيناه موسى (هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

يهتدون به في أصول دينهم، و فروعه و شرائعه موافقة لذلك الزمان، في بني إسرائيل23

(وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ)من بني إسرائيل (أَئِمَّةٗ)أي: علماء بالشرع، و طرق الهداية،مهتدين في أنفسهم،

(يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا)غيرهم بذلك الهدى،فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، و المؤمنون به منهم

على قسميـــــن:-1-أئمـــــة يهدون بأمر اللّه، 2-و أتبـــــاع مهتدون بهم.

و القسم الأول:-أرفع الدرجات بعد درجة النبوة و الرسالة، و هي درجة الصديقين،

(لَمَّا صَبَرُواْۖ)و إنما نالوا هذه الدرجة العالية بـــــ:-

1-الصبر على التعلم و التعليم2-و الدعوة إلى اللّه، و الأذى في سبيله3-و كفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، و استرسالها في الشهوات4-لَمَّا صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا ،

وَ لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يَتَحَامَى عَنِ الدُّنْيَا.

(وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ)وصلوا في الإيمان بآيات اللّه، إلى درجة اليقين:-

و هو [العلم التـــــام، المـــــوجب للعمل] O و إنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهـــم:-

1-تعلمـــــوا تعلمًا صحيحًا2-و أخـــذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، و يستدلون عليها بكثرة الدلائل،حتى وصلوا لذاك،

فـــــبالصبر و اليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين-قال سفيان بن عيينة:لما أخذوا برأس الامر جعلناهم أئمة24

و ثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل:-1-منهم من أصاب فيها الحق2-و منهم من أخطأه خطأ، أو عمدًا،

(إِنَّ رَبَّكَ)و اللّه تعالى (هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ)يقضي بين المؤمنين و الكافرين من بني إسرائيل و غيرهم

(يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)بالعدل(فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)من أمور الدين25

(أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ)أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، و يهدهم إلى الصواب.

(كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ)مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ،الذين سلكوا مسلكهم،بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَ مُخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ وَ لَا عَيْنٌ وَ لَا أَثَرٌ؟

(يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ)فيشاهدونها عيانًا، كقوم هود، و صالح، و قوم لوط.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ)يستدل بها، على صدق الرسل، التي جاءتهم و بطلان ما هم عليه، من الشرك و الشر،

و على أن من فعل مثل فعلهم، فُعِلَ بهم، كما فُعِلَ بأشياعه من قبل.

و على أن اللّه تعالى مجازي العباد، و باعثهم للحشر و التناد.

(أَفَلَا يَسۡمَعُونَ)آيات اللّه، فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، و عقل رجيح،

لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك–أَيْ: أَخْبَارَ مَنْ تَقَدَّمَ، كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُمْ؟26

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ)بأبصارهم نعمتنا، و كمال حكمتنا(أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ)التي لا نبات فيها،

فيسوق اللّه المطر، الذي لم يكن قبل موجودًا فيها، فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار

(فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا)نباتًا، مختلف الأنواع (تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ)و هو نبات البهائم

(وَأَنفُسُهُمۡۚ)و هو طعام الآدميين(أَفَلَا يُبۡصِرُونَ)تلك المنة، التي أحيا اللّه بها البلاد و العباد،

فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر، و تلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم،

و لكن غلب عليهم العمى، و استولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال،

و إنما نظروا إلى ذلك، نظر الغفلة، و مجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.

أي: يستعجل المجرمون بالعذاب، الذي وعدوا به على التكذيب، جهلا منهم و معاندة 27

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ)الذي يفتح بيننا و بينكم، بتعذيبنا على زعمكم

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 118]

(إِن كُنتُمۡ) أيها الرسل (صَٰدِقِينَ)في دعواكم28

(قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ)الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئًا،فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم،

لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقينًا، لكان لذلك وجه،و لكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر،

و لم يبق للمحنة محل فــــــ(لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ)لأنه صار إيمان ضرورة

(وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ)يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم29

(فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ)لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، و استعجال العذاب.

(وَٱنتَظِرۡ)الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه،و لكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم و لا يتأخر.

(إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ)بك ريب المنون، و متربصون بكم دوائر السوء، و العاقبة للتقوى30